عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألني ما ليس لك به علم فحمل ما
بعدها على ما قبلها أولى لأن مثل هذا قد يحتاج إلى إذن وقد تجوز إباحة
السؤال فيه ابتداء فنهاه الله أن يسأله عما طوى عنه علمه وأكنه من
غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم أكمل الله نعمته عليه بإعلامه ذلك بقوله إنه
ليس من أهلك إنه عمل غير صالح حكى معناه مكي كذلك أمر نبينا في الآية الأخرى
بالتزام الصبر على إعراض قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل
بشدة التحسر حكاه أبو بكر بن فورك وقيل معنى الخطاب لأمة محمد أي فلا
تكونوا من الجاهلين حكاه أبو محمد مكي وقال مثله في القرآن كثير فبهذا
الفصل وجب القول بعصمة الأنبياء منه بعد النبوة قطعا فإن قلت
فإذا قررت عصمتهم من هذا وأنه لا يجوز عليهم شيء من ذلك فما معنى إذا
وعيد الله لنبينا عليه السلام على ذلك إن فعله وتحذيره منه كقوله لئن أشركت
ليحبطن عملك الآية وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك
الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة الآية وقوله لأخذنا منه باليمين
وقوله وإن تطع من في الأرض يضلوك عن سبيل الله وقوله فإن يشاء
الله يختم على قلبك وقوله وإن لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله اتق الله
ولا تطع الكافرين والمنافقين فاعلم وفقنا الله وإياك أنه عليه السلام
لا يصح ولا يجوز عليه أن لا يبلغ وأن يخالف أمر ربه ولا أن يشرك به ولا
يتقول على الله ما لا يجب أو يفتري عليه أو يضل أو يختم على قلبه أو يطيع الكافرين
لكن يسر أمره بالمكاشفة والبيان في البلاغ للمخالفين وأن إبلاغه إن لم
يكن بهذه السبيل فكأنه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك
من الناس كما قال لموسى وهارون لا تخافا لتشتد بصائرهم في الإبلاغ وإظهار

واظهار دين الله ويذهب عنهم خوف العدو المضعف للنفس وأما قوله
ولو تقول علينا بعض الأقاويل الآية وقوله إذا لأذقناك ضعف الحياة
فمعناه أن هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله وهو لا يفعله
وكذلك قوله وإن تطع أكثر من في الأرض فالمراد غيره كما قال إن
تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فإن يشإ الله يختم على قلبك ولئن أشركت
ليحبطن عملك وما أشبهه فالمراد غيره وأن هذه حال من أشرك والنبي صلى الله
عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه أنه أطاعهم عهم
والله ينهاه عما يشاء ويأمره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم
الآية وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل وأما عصمتهم
من هذا الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب أنهم معصومون قبل
النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت
الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم
على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة
كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل
أحد من أهل الأخبار أن أحدا نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل
ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد استدل بعضهم بأن القلوب تنفر
عمن كانت هذه سبيله وأنا أقول إن قريشا قد رمت نبينا بكل ما افترته
وعير كفار الأمم أنبياءها بكل ما أمكنها واختلقته مما نص الله عليه أو نقلته إلينا
الرواة ولم نجد في شيء من ذلك تعييرا لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه
بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه ولو كان هذا لكانوا بادروا بذلك و
بتلونه في معبوده محتجين ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل أفظع

Copyright © King Saud University